جماعة الألماسة السوداء

ألفريد هيتشكوك

(نشرت للمرة الأولى عام ١٩٢٠)

رن جرس الهاتف في منزل السيد بليك، وكان المتكلم صديقه المفتش بورفيز الذي أخبره أن كانون ويمبرلي، ابن عم اللورد وين، وريثه الوحيد قد عثر عليه ميتا في مكتبه وسط ظروف مثيرة للشكوك. قال المفتش:

"أريد منك أن تذهب إلى مكان الحادث وتلقي نظرة على المكان.. لقد عثر الخدم على السيد كانون باكرا في الصباح، وقد ذهبت بنفسي إلى هناك عند الساعة التاسعة، وقد صرح الطبيب فالموت حدث بسبب لدغة أفعى، وقد حدد زمن الوفاة، وحسب تقرير الطبيب: الموت حدث في الساعة الثانية صباحا"

كان السيد كانون أخصائيا في علم الأحياء وله مكانة متميزة كاختصاصي في شؤون الطيور، وخاصة البريطانية منها، ولقد قال الخدم أنه على وجود العديد من الحيوانات المنزلية في بيته، إلا أنه ليس هناك أي ثعبان.. وقال المفتش على الهاتف:

"يبدو الأمر لغزا محيرا، وقد كنت أود الذهاب معك، ولكني متعب جدا وأريد الاستلقاء قليلا، وأنا أريدك أن تتولى هذه القضية أنت بالذات، وليس أحد غيرك في سكوتلانديارد"

ذهب بليك إلى البيت، إنه منزل متسع ومبني من القرميد الأحمر، طراز يرجع إلى عهد الملكة "آن"، في شارع جانبي ضيق من منطقة تشيلسيا، أما الحديقة متسعة وجميلة ومرتفعة الجدران، وهي تشكل حقل دراسة جيد لرجل مهتم بالطبيعة وعلوم الأحياء. دخل بليك إلى المكتبة مباشرة، وكان تطل على الحديقة، لاحظ بليك الذوق الرفيع في اختيار الألوان والأثاث، وطريقة توزيعه، وكان كل شيء يدل على الثراء أيضا إلى جانب الذوق.

وفي المكتبة ظهرت الكتب على الرفوف، وبدت مجلدات الكتب الفاخرة والتي زينت أغلفتها باللون المذهب، وتوزعت بعض أعمال النحت الفنية المصنوعة من البرونز أو الرخام، وإلى جانب النوافذ شاهدت منضدة تستعمل عادة لغرض إجراء التجارب وتحنيط الحيوانات.

ألقى بليك حوله نظرة شاملة ثم التفت إلى الخادم الذي يقف وراءه وسأله: "من الذي اكتشف الجثة؟" فأجابه: "إحدى الخادمات يا سيدي.. لقد سمعت صراخها عندما كنت في غرفة الطعام، وهرعت مسرعا إلى هنا..."

قاطعه بليك متسائلا: "كم كانت الساعة؟" فقال: "كانت الساعة السابعة تقريبا يا سيدي.." وهنا طلب بليك من الخادم المزيد من التفصيل.

شرح الخادم كيف كانت الأنوار مضاءة في الغرفة، حتى أن الضوء المسلط على منضدة التحنيط كان أيضا يشع بالنور، وقد كان السيد كانون مستلقيا على الأرض، وبدا من شكله أنه مات وهو يتلوى من الألم، وقد ادعى الخادم أنه أسرع ليساعده، ولكنه عرف من الوهلة الأولى أن السيد قد فارق الحياة؛ لذلك اتصل بالدكتور هاربورو هو صديق السيد وكان معتادا على زيارته باستمرار، وهو الذي نصحه أن يتصل بالشرطة فورا.

وحسب تعليمات الشرطة، لم يقم أحد بلمس شيء في الغرفة.. وقد حاولت الخادمة أن تنظف الغرفة جهلا منها بالتصرف السليم في هذه الحالات لكن الجميع منعوها من عمل ذلك.

فهم بليك من الشرح الذي سمعه أن السيد كانون كان منهمكا خلال الليل بمعالجة طائر مقطع الأوصال، وكان الطائر لا يزال فعلا على منضدة التحنيط.

صعد بليك بعد ذلك إلى الطابق العلوي، ودخل غرفة الفقيد، وهناك رأى آثار لدغة الأفعى، تماما كما قال الطبيب في تقريره.. فقد شاهد ثقبا في الإبهام، وثقبا آخر في راحة اليد.. ولكن بليك دهش لهذه المسافة الكبيرة نسبيا والتي تفصل بين الثقبين؛ فمن المفترض أن تكون

المسافة على الأكثر إنشا واحدا فقط. هذا إذا كان السيد كانون يقتني أفعى من أجل تجاربه وبافتراض أن هذه الأفعى لدعته أثناء عمله.

عاد بليك ليفحص المكتبة فحصا دقيقا، علّه يعثر على مفتاح للحل ولكنه أمضى ساعة كاملة دون الوصول إلى شيء.. ولكن شيئا واحدا لفت نظره، لقد تلقى السيد كانون في اليوم السابق لوفاته رزمة بريدية، وشاهد بليك غلافها ذا اللون البني في سلة المهملات.. إنها رزمة على شكل علبة مستطيلة، وكان واضحا عدم إمكان وضع أفعى في تلك العلبة.

رن بليك الجرس، وعندما جاء الخادم سأله عن الشيء الذي كان ضمن الرزمة البريدية عندما وصلت إلى السيد الفقيد، وجاء جواب الخادم ليزيد اللغز تعقيدا؛ فالعديد من الناس يرسلون الرزم البريدية إلى السيد كانون، وهي تحتوي عادة على أشياء غريبة، مثل الطيور والخنافس. وأشياء أخرى؛ فالسيد مولع بهذه الأشياء.

طلب بليك من الخادم أن يركز على موضوع هذه الرزمة بالذات، والتي وصلت بالبريد يوم أمس، وأكد الخادم أنه استلمها بنفسه، وكان السيد مشغولا ساعة وصولها، لذلك فتحها الخادم ونظر إلى ما فيها، حيث كانت تحتوي عظاما صغيرة، وأشار الخادم إلى أن تلك العظام لا تزال موجودة على المنضدة، حيث السيد كانون، وقد أعطاه العلبة ليرميها في سلة المهملات.

شكر بليك الخادم على هذه المعلومات، وبدأ يتفحص تلك العظام، وهو يأمل أن يعثر على شيء، وكان فحصا دقيقا يحتاج إلى صبر لا حدود له.

إنها عظام طائر صغير؛ فالجمجمة لها منقار طويل مقوس أما الجناحان فقد كانا مكسورين، تناول بليك زوجا من الملاقط من صندوق أدوات التشريح، وبدا يتفحص بشكل دقيق، وهنا عثر عن بداية حل اللغز.

لقد اكتشف بليك وجود جسم غريب بين العظام، حيث يختفي ذلك الجسم الغريب بشكل متقن، ولكن ملاقط أدوات التشريح ممتازة في مثل هذه الأمور، لقد انتزع بليك ذلك الجسم لغريب بكل بساطة.

نظر بليك إلى ذلك الشيء الطويل، ثم صدر منه صوت صفير طويل لقد عرف كيف مات كانون ويمبرلي، لقد توفي بلدغة أفعى، وذلك الجسم الغريب لم يكن سوى أفعى من نوع ذوات الجرس. إنها جريمة متعمدة، وقد خطط لها فاعلها بشكل ممتاز.

لم يعرف بليك الدافع إلى عملية القتل، ولكنه أدرك الفاعل، وقد أرسل عظام الطائر عبر البريد، ولذلك فهو الآن بعيد عن مسرح الجريمة، بعيد عن الأنظار، بل أنه يستمتع بأخبار نجاح الفخ الذي نصبه.

إنه حقا فخ مصنوع بعناية، بل ببراعة شيطانية؛ ففي أعلى الناب يوجد كيس صغير بحجم حبة البازلاء، فإذا حدث قدر من الضغط انبجس السم سريعا.

بدا واضحا أن الفاعل اقتلع الناب وكيس السم من الأفعى التي كانت على قيد الحياة، ثم حشر الناب في العظام، وعندما ضغط السيد القتيل قليلا ثقب إصبعه وانبجس السم دون أن يدري ما يحدث حقيقة، ومضى الوقت بينما كان السم يفعل فعله في جسم السيد كانون.. وفي النهاية استحوذ السم عليه فطار يتلوى ويتشنج من الألم حيث لم يتمكن من طلب النجدة، هكذا وقعت تلك الجريمة الخبيثة.

بدأ بليك بالتحرك وكتب عدة برقيات إلى أصحاب محلات بيع الحيوانات في لندن، وحمل الخادم البرقيات التي تسأل عن الحية ذات الجرس. لم يعد أمام المفتش ما يفعله بانتظار وصول الأجوبة؛ لذلك بدأ يتفحص ملابس القتيل عساه يعثر على شيء جديد، وأثار اهتمامه وجود مفتاح صغير معلق بحبل حريري أسود اللون حول عنق القتيل.

حمل المفتاح وصار يفكر: ما وظيفة هذا المفتاح الصغير؟ صار ينظر إلى الرفوف، وخلف اللوحات المعلقة على الجدران، إلى أن عثر على صندوق فضي لحفظ المجوهرات؛ فحاول أن يفتحه بذلك المفتاح ولحس الحظ انفتح الصندوق، وهناك عثر على أوراق خاصة بالقتيل. في مثل هذه الظروف لم يكن هناك بأس من الاطلاع على تلك الأوراق، وبالفعل عثر المفتش على بطاقة صفراء قديمة، طبع في وسطها شكل

جوهرة ألماسية، وإلى جانب البطاقة رسالة مغلقة بعناية، مكتوبة عليها: (تفتح فقط في حال موتي)، بدا الأمر مثيرا للفضول تماما، لذلك فتح المفتش الرسالة.

كانت رسالة السيد كانون تقول: هذه معلومات خاصة بي لا يعرفها أحد من أقاربي أو أصدقائي؛ ففي عام ١٨٦٨ ذهبت إلى المكسيك، وانغمست في اهتمامات سياسية بسبب ما لمسته هناك من استبداد وظلم وفساد بين السياسيين، وعندما سمعت عن جمعية الألماسة السوداء انتسبت إليها دون أن أعرف حقيقتها. وفي أحد اللقاءات شرح لي زعماء الجمعية وجوب الطاعة الكاملة للأوامر إذا كنت أريد الانتساب حقيقة إلى جمعيتهم، قبلت هذا الشرط ثم أديت القسم، ولم أكتشف أنني انتسبت إلى جماعة مجنونة متوحشة.

وفي إحدى الأمسيات، كنا نعقد اجتماعا وبلغ عددنا أربعين عضوا وجلسنا جميعا حول مائدة مستديرة، أخرج الزعيم مجموعة من بطاقات يطابق عددها عدد الحضور. كل البطاقات بيضاء ماعدا بطاقة واحدة كانت تحمل علامة (الألماسة السوداء). شرح الزعيم اللعبة: سيسحب كل عضو إحدى البطاقات، أما العضو الذي ستكون بطاقة الألماسة السوداء من نصيبه سيتوجب عليه أن ينفذ عملية اغتيال أحد الحكام، وإذا رفض التنفيذ فسيتم إعدامه.

وياله من حظ عظيم؛ فقد كانت تلك البطاقة اللعينة من نصيبي أنا، لكنني قذفت تلك البطاقة وأعلنت: "ليس هناك على الارض شيء

يجبرني على ارتكاب جريمة قتل، حتى لو حاولتم قتلي".. في اليوم التالي مباشرة، وصلني مظروف عبر البريد، وعندما فتحته وجدت البطاقة اللعينة إياها، وعندها لم أنتظر لحظة واحدة، بل هربت عائدا إلى بلادي، ومع ذلك وصلتني رسائل تهديد بالقتل، هنا في إنكلترا" .. التوقيع/ تشارلز ويمبولي

أنهى المفتش قراءة الرسالة في ذهول، ثم أعاد الرسالة إلى الصندوق وصار يحملق عبر النافذة وهو يحدث نفسه: "منذ أربعين سنة.. من يدري.. إنه انتقام.. ولكن بعد أربعين سنة وصلت الرسائل حاملة أجوبة على سؤال المفتش حول (ثعبان ذات الجرس)، وحملت إحدى تلك الرسائل جوابا شافيا، فقد ذكر صاحب الرسالة أن رجلا مسنا اسمه (أندرسون) اشترى في الأسبوع الماضي زوجين من حية ذات الجرس. لم يترك المفتش فرصة لضياع الوقت بل تحرك فورا لزيارة مرسل هذا الجواب، والتقى معه في دكانه، وبدأ الرجل يسرد التفاصيل:

لقد جاءني ذلك الرجل، آندرسون وهو صاحب هندام وأناقة. عيناه سوداوان وله لحية رمادية، ولهجته غريبة، عمره حوالي ستين عاما.. لقد سأل عن أشياء كثيرة، ثم سأل بطريقة تنم عن اللامبالاة عن الأفاعي وجلبت له زوجين من نوع السافانا، وقد سر لذلك واشتراهما.. وبالتالي وضعتهما في علبة آمنة، مع شيء من الحليب، وأعطيته تعليمات حول كيفية رعاية الثعابين..

قال المفتش:

- أظن أنك تبيع الثعابين بعد نزع أنيابها.

رد البائع قائلا:

- ماذا تقول؟ ليتك رأيت السم وهو ينبجس من ناب الثعبان.. لقد تلطخ جدار العلبة بالسم. إنها ثعابين حقيقية كاملة يا سيدي.

للأسف لم يجد المفتش عنوان (أندرسون) لدى البائع، ولكنه حصل على علبة سجائر فارغة، وقد قال البائع ان أندرسون كان يدخن من ذلك النوع، وأنه ألقى تلك العلبة في دكانه.. اهتم المفتش بالأمر واحتفظ بالعلبة الفارغة، إنها علبة سجائر مصنوعة في المكسيك.

بعد ثلاثة أيام اتصل بليك مع صديقه المفتش، وقال له:

- الآن صرت مستعدا لاعتقال القاتل، في أي وقت تشاء.

إنها حقا أخبار عظيمة، وقد أضاف بليك قائلا أنه تناول طعام العشاء بالأمس على مائدة واحدة مع القاتل.. هنا تشوق المفتش إلى معرفة اسم ذلك القاتل له بليك:

- إنه (السنيور مانويل بوتيرت) أحد أفراد أكبر العائلات في مدينة المكسيك..

اتفق الرجلان على الالتقاء عند عنوان محدد أملاه بليك، وهنا قرع جرس أحد البيوت، ثم لجأ إلى عش النسر، وعندما تقدم السنيور مانويل لاستقبالهما، قال بليك:

- أقدم لك المفتش بيرفيس من سكوتلانديارد، إنه هنا من أجل اعتقالك بتهمة قتل السيد كانون.

دهش السنيور للكلمات التي طرقت سمعه، ثم جلس وأخرج لفافة تبغة ثم قال:

- يفترض أن تقدموا البراهين قبل الاتهام..

وهناك بدأ المفتش يتحدث:

- تلقى السيد كانون رزمة بريدية في صبيحة يوم وفاته، وكانت الرزمة تحتوي عظام طائر، وفي العظام تم حشر ناب أفعى، وقد أصيب كانون بالسم ومات.

عندما اتصلنا مع عدة بائعين متخصصين بيع الحيوانات أكد أحدهم أنه باع ثعبانا إلى شخص غريب اسمه أندرسون، هذا شخص غير مبال؛ فقد خلف وراءه علبة السجائر وقد حفر عليها حرفان : م – ي

كذلك عثرنا على رسالة تتعلق بجمعية سرية في المكسيك، شعارها الألماسة السوداء، وقد انضم القتيل إلى تلك الجمعية، وعندما تكشفت أمامه الحقائق انسحب هاربا. وعلى ما يبدو، فإن أعضاء تلك الجمعية من الطبقة العليا؛ لذلك استفسرت عن قدوم شخص مكسيكي، وذكرت الحروف الأولى من اسمه وهي الموجودة على علبة السجائر، وبعد يومين من البحث عرفنا أن السنيور مانويل يوتيرت موجود في لندن.

وعندما العثور عليه في أحد المطاعم الفاخرة طلبنا من أحد الخدم تزويدنا بالكأس بعد أن يشرب منه السنيور، وهكذا أخذنا بصمات الأصابع، وبعد المطابقة عرفنا أنه الشخص الذي نبحث عنه.

ووقف السنيور باسما، وبدأ يتكلم وكأنه يلقي خطابا:

- يشرفني أن أكون رئيس جمعية الألماسة السوداء.. لقد نكث كانون بوعده، ولذلك فهو يستحق تلك العقوبة، وهكذا ظللت أبحث عنه أربعين عاما.. وإذا كنت يا سيدي المفتش تظن أنك قادر على اعتقالي فأنت مخطئ تماما.. لن أسمح لك باعتقالي

وهنا قفز إلى الأمام وتناول سكينا، قبل أن يحاول أحد منعه، كان كل شيء قد انتهى؛ فقد مات السنيور.